اسرار اللغات واللهجات

٢٠ لكل لغة او لهجة ذوق خاص بها

Philosophie des Dialectes.

ان لكل لغة او لهجة ذوقا خاصا بها ولكل كلمة او جملة وقعا دقيقا لاتجده في مقابلها من لغة اخرى .

فقد يجد الانسان بونا كبيرا في الذوق بين تركية اهل الاستانة وبين تركية سكان الضواحي من التركمان . وللغة البداة من العرب نبرات لانجدها في لغة الحضر منهم . وفي اناشيد البدو واغانيهم جرس خاص يضطر المغنين من الحضر الى احتذائهم في بعض ما ينظمون ولا سيما ما كان للحماسة او النياحة .

واهل العراق ينقلون الاغاني السورية والمصرية على حالها الخاصية فيها ؛ وان ادى ذلك الى ما ليس في مألوفهم من قلب القاف همزة ، والظاء زايا مفخمة ، والجيم كافا فارسية . ويرون ان تحقيق مخارجها الاصلية مفسد لنشوتها .

ومن ثم كان من العبث ان نلتمس في الترجمة ما نلتمسه في الاصل من التأثير في العواطف . فكم من شعر نظم في لغة اولهجة فهز العواطف ، وحرك الرواكد ثم صادف عكس التأثير بعد نقله الى لغة اخرى ، اولهجة تخالف اللهجة الاولى ، وان كانتا بنتي لغة واحدة .

فآيات الكتب المقدسة المعربة مثلا يشهد العقل بان فيها حكما بالغة ، لكن العاطفة لا تشهد بقوة فعلها في النفوس بعد التعريب إلّا ما لا يلحظ فيه التأثير كبعض الاحكام والقصص .

وطائفة من القرآن اذا نقلت الى لغة اخرى كان نقلها سلبا لخلعة الاعجاز المفرغة عليها ، فقول القرآن : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » نموذج من اعجازه ، ولكنها اذا ترجمت الى التركية مثلا فقيل : (هبكر اللهك ايبنه طوتنكز) ذهبت تلك الطلاوة ولاقت آية القرآن ما لاقته آية المزامير الآتية بعد تعريبها وهي : « واسحق اعداءه امام وجهه ... وباسمي ينتصب قرنه » !

وفي بعض المناجاة : «وتنصب مثل البقر الوحشي قرني» ! ـ ص ٥٤٢ـ٥٤٤ .

وكثير من الامثال العامية لا تؤدي كل مزاياها اللغة الفصحى وكذلك بعض امثال اهل بلدة اذا نقلت الى اختها في القومية ؛ لذلك نجد الامثال تنقل على علاتها فالمثل المشهور في العراق ينقله السوريون على علاته وهكذا العكس .

الا ترى ان المثل الذي ضربه (نابغة الكرخ) في بعض قصائده العامية ، وهو :

« والحان هني ياعضيدي مثل ذبح في الحقيقه خوش مركه وخوش ديح

وقول العرب في اثناء الثورة العراقية :

« سل (دكسن) عنا اش سوينا وهنا علكنا الكنار »

والمثل المشهور: « ما زال كهوة وتتن كل الامور تهون ».

لو ترجمت الى اللغة الفصحى ، أو اللهجة السورية أو الموصلية لكان مسخا ممجوجا .

والانشودة التركية وهي :

آرى كزر . چيچك امر . قوشلر اوچر . بريم ارار

لو ترجمت الى العربية هكذا :

النحلة تدور . تمتص الزهور . تطير الطيور . لالتماس الحب

لتجلت فيها التفاهة . اللهم إلّا ان يقال ان هذه المعاني قدت على قدر الصغار ، لانها وضعت اناشيد لهم . غير اني مع هذا الاعتذار لا ازال مصرا على رأيي .

لكن لو ترجمنا القطعة المتداولة بين الصغار ايضا وهي قطعة تتضمن تحاورا بين الزنبار والنحلة اذ يقول الزنبار :

ايها النحلة ماذا يشغل الناس بحبك ، انني في حسن شكلي ، لست محبوبا كحبك

الى آخر المحاورة ... لما شعرنا بتلك التفاهة . فلا بدان يكون في القضية سر وهذا السر قد يكون في ضيق صدر اللغة عن اداء المعنى او ترفعها عنه .

واللغة الفارسية فيما اظن تعجز عن اعداد قالب مكين للمعنى الذي تضمنه بيت الحماسة وهو .

فلما تأت عنـــا العشيرة كلها انخنا فحالفنا السيوف على الدهر

ولعل الفارسية اتيت من قبل انه لا يتفق بين جيلها مثل هـــذا الوضع الذي عناه الشاعر البدوي المتحمس .

كما ان اللغة العربية تتجافى عن تهيئة لباس مناسب لمضمون بيت الكلستان:

اي مرغ سحر عشق ز بروانه بياموز ...

اي :ياطائر السحر تعلم العشق من الفراشة ...

لان اللغة العربية وضعت للطائر الصغير الذي يسميه الفرس (بروانه) ،لفظة (فراشة) والفراش يطلق في عرف العرب على الهمج بصورة عامة فاندمج في هذا العموم ذلك الطائر الجميل فيكون في تكليف طائر السحر الاقتداء به في مذهب العشق بخس لحقه وحط من قدره وهذا مما يأباه الذوق العربي السليم .

نعم لو كان في العربية اسم خاص بهـذا النوع من الهمج بحيث يميزه عن هذه الحشرات الخسيسة وينوه بشأنه كما سماه العامة من اهل الموصل ومسلمي بغداد(طـائر الجنة) (١) لما كان في تكليف طائر السحر الاقتداء به غضاضة في نظر الادب .

ويقال بصورة عامة : ان الجمل التي يدور عليها البحث قدت على قدر اللغة أو اللهجة ، وصبت في قالب ملائم ، فاذا انزلت في قالب لغة أو لهجة اخرى من دون تعديل ، كانت كالثوب الذي قطع لشخص فارتدى به شخص آخر .

وهذا التمانع المحسوس بين اللغات واللهجات ، ليس جاريا في جميع نواحي الكلام ، بل انك لتجد تماسا قويا في بعضها .فقول الشاعر الفارسي :

جهان اي برادر نماند بكس ...

مماس لقول الشاعر العربي القديم :

اشـــاب الصغير وافنى الـكبير كر الغداة ومر العشي

اذا ليـلة هرمت يومهـا أتى بعـــد ذلك يوم فتي

حتى في الوزن .ولاغرو فان للاوزان علاقة قوية بمواضيع الشعر . ومثله

(١) عوام بغداد من النصارى يسمون الفراشة « بشارة» لانها تبشر باقبال الربيع واما سبب تسمية الفراشة بهذا الاسم فهو لانها تفرش جناحيها. (ل ع)

بيتان انشدنيهما بعض الفرس من نحو عشرين سنة :

بقبر ستان كزر كردم كم وبيش بديدم قبر دولتمند ودرويش

ولا اتذكر الثاني . فانهما يلامسان بيتين قالتهما العرب في القديم وهما :

نطوف ما نطوف ثم يأوي ذوو الاموال منا والعديم

الى حفر اسافلهن جوف وأعلاهن صفاح مقيم

وقد ترجم العلامة سليمان البستاني (رح) بيتا من ابيات (الالياذة) بقوله:

وتخفق احشاهم كما اللج خافق اذا لقي البحر الرياح السوافيا

فاصاب المحز . ومثله ـ كما نص عليه في الحاشية ص ٥٢٥ ـ قول الشنفرى:

ولا خرق هيق كأن فؤاده يظل به المكاء يعلو ويسفل

وانشدني الشيخ بشير الغزي رحمه الله بيتا ترجمه من الفارسية وهو :

ما حمرة الياقوت إلّا خجلة من صخرة قد ضمخت بدم الحسين

غير اني ـ ولكل انسان ما يرى ـ لم ار موافقا للذوق العربي وان حاز دقة في التشبيه والابتكار مع حسن السبك في التعريب . وعلى من يعرف الاصل ان يقابل بينه وبين الفرع .

وقد هدتني التجارب الى ان الرجل في بلادنا اذا قيل له (قليل الادب) او (عديم الادب) لم يكن لها في نفسه وقع كلمة (ادبسز) لان الثانية مشربة معنى دقيقا لاتهتدي اليه الاذواق إلّا اذا برزت اللفظة الدالة عليه في بزة خاصة .

ولو قيل لرجل : (متشرد) لم تبلغ في نفسه مبلغ كلمة (سرسري) التركية .

وربما اصطلح اهل مدينة على كلمة يطلقونها على معنى او يريدون بها مغزى فلا يقوم مقامها كلمة اخرى ، مهما حاول المتكلم اداء المعنى المطلوب بها ، أو الايماء الى المغزى الذي يرمون اليه كاطلاق البغداديين لفظة (مترقي) على من كان حديث عهد بنعمة فاورثته غرورا ، فهناك لايسد مسد (مترقي) لفظة (مغرور) ولا (متكبر) ولا (معجب) ولا (طائش) ولا (ذو تيه) ابدا وان كنا نعبر عن معناها في الفصحى بقولنا « شمخ بانفه » او (اعجب بنفسه) مثلا .

إلّا ان هذا الاصطلاح وقتي لايلبث ان ينطفىء لانه موضعي وغير مدون .

واهل الموصل يقولون ازاء ذلك (زم) وهي تؤدي مؤدى (مترقي) في

مصطلح البغداديين لاتنقص عنها شيئا .

إلا ان لفظة (زم) عريقة في القدم اما لفظة (مترقي) فاظنها وليدة الاحتلال وذلك انه كثر في هذا العهد تطاول الاوباش الى ما ليس من شأنهم من مراتب سامية ما كانوا يحلمون بها ، وكان احدهم اذا هبت ريحه كبر في عين نفسه وشمخ بانفه على اصحابه وعشرائه اللاصقين به متناسيا حقوقهم فينبزونه بقولهم « ترقى » ...

ويقول اهل الموصل للعبد الاسود خاصة اذا استشاط غضبا وحمي وطيس غيظه (زنكر) ولا يغني غناءها عندهم (غضب) ولا (زعل) ولا (شخر) ولا (نخر) ولا (ابرق) ولا (ارعد) بل الكلمة الجامعة لكل هذه المعاني هي (زنكر) وان كنا مضطرين في الفصحى الى ان نقيم مقامها (عربد العبد) بيد ان ذلك لا يشغل الفراغ الذي يشغله قولهم (زنكر) ومنه قولهم « ... زنكرت بعرورة(١) » .

امعان النظر في الملاحظات السابقة يكفينا باعثا على التردد في ادعاء من يدعي ان الذين ترجموا رباعيات الخيام مثلا حافظوا على جميع مزاياها من جميع اطرافها .

وعلى النظر بعين الاحتياط الى دعاة التجدد في الشعر العربي باحتذاء الافرنج فيه ما لم يوضحوا مناهجهم ويزيحوا كل غشاوة . ويعطوا عهدا بوجوب الاحتفاظ بكرامة اللغة العربية وخصائصها الذوقية ولا مانع من تهذيب لاتشويه فيه.

وعلى النظر بعين الريبة الى قول من يقول : ان في اللغة الفصحى نقصا لانها تعجز احيانا عن اداء بعض ما تجيش به صدورنا — اذا كانت غاية القائل الاعراض عنها الى اللغة العامية — لان كثيرا مما تجيش به صدورنا تعجز اللغة العامية عن ادائه اكثر مما تعجز اللغة الفصحى . وهكذا يقال في اللهجات العامية المتباينة وان كانت شقائق . وفي اللغات الاجنبية اية كانت . فكل منها تعجز عن تحمل بعض ما تتحمله الاخرى من الخصائص. فمن كان على راي هذا

(١) عوام بغداد يقولون في معنى زنكر : سنكم ومنها سنكيمة العبد اي سورة غضبه. اما (بعرورة) فالظاهر انها رمز الى الامة السوداء .

(ل - ع)

القائل ، وكان عراقيا ، احلته على الجرائد المصرية العامية ؛ وان كان مصريا احلته على الجرائد العراقية العامية ؛ لينظر كل من خالجته شبهة من اتباع كل ناعق دساس ! هل ثمة ما تطمئن اليه نفس الناصح لامته المتفاني في شد ازر الجامعة العربية ؟

ان هناك خروجا على هذه الجامعة ، ومحاربة لها بسلاح التفريق اللغوي بعد ان حوربت بسلاح التفريق الجغرافي ؟! ..

واجدر بمن كان مخلصا للغة ولجامعة اللغة ويجري في عروقه حبها والحرص على حياتها ان يثابر على سد الثلم الذي يدعيه ، وإلّا فليصرح بعلة شدقيه انه غادر بقومه ، او دخيل فيهم فهو مثل السوس في بنائهم ، والجرثومة الخبيثة في بنيتهم .

محمود الملاح

الدرداقس L'AXIS.

في « البستان » للبستاني : (الدرداقس) ويقال ايضا بالصاد ، عظم يصل بين الرأس والعنق معرب عن الرومية ، اه . وهي عبارة اقرب الموارد ومحيط المحيط وكل من اخذعنهما واول من غلطها صاحب القاموس لانها عبارته والخطأ واضح ، والصواب : يفصل بين الرأس والعنق ، او : يصل الرأس بالعنق ؛ لكن لغويينا المحدثين حاطبو ليل ينقلون بلا ترو ولا تبصر .

وغوليوس وفريتغ ودوزي وقزميرسكي وسائر نقلة الافرنج لم يذكروا الكلمة الرومية (اي اللاتينية) التي صحفت عنها . ونظن انها من Dorsi axis اي محور الرأس وهو معناها . على ان السلف الفصحاء عرفوها باسم (الفائق) من (ف وق) لانها تفوق جميع الفقار بعلوها ، وبـ (الفهقة) قال ابن الاعرابي الفهقة : موصل العنق بالرأس . وهي (السرير) ايضا اذ يجلس عليها الرأس ويقر .

وجاء (درقاس) في الشعر بدلا من درداقس . أنشد ابوزيد :

من زال عن فصدالسبيل تزايلت بالسيف هامته عن الدرقاس

(اورد ذلك صاحب اللسان والتاج في مادة (د ر د ق س)

قال ابوزيد : و (المتلقية) على عظم الفائق مما يلي الرأس . اه . فتكون هذه هي المسماة بالافرنسية :L'atlas (المخصص ١ : ٦٠) فاحفظ كل ذلك .